الأمير صدقة بن منصور المزيدي مؤسس الحلة

محمد طايع حسون الجبوري

المقدمة

يتناول البحث دراسة عهد الامير المزيدي صدقة بن منصور , الامير الرابع في الاسرة المزيدية الذي كان له دور بارز في تاريخ الامارة السياسي والحضاري وشملت هذه الدراسة ثلاث مباحث :

ففي الاول – تناولت بشكل موجز نشأة الامارة المزيدية وتولية الامير صدقة الامارة ووصفا عاما" لعهده وابرز اعماله بناءه مدينة الحلة الذي كان له الاثر الكبير في حياة هذه الامارة على المستوى السياسي والفكري .

وتطرقت في المبحث الثاني – عن مقاومة الامير صدقة للتسلط الاجنبي السلجوقي من خلال توسيع امارته على حسابهم وتحديه لنفوذهم عسكريا مما ادى الى وقوع معارك بينهما تبادلا فيها النصر والهزيمة .

وفي المبحث الثالث – تناولت فيه بشكل مختصر ابرز العلماء والادباء والشعراء في عهده وفضله في انتعاش الحركة العلمية والادبية في الحلة واستمرارها فيما بعد .

المبحث الاول

الامير صدقة وبناءه الحلة

ينتمي بنو مزيد الى قبيلة بني اسد من العرب العدنانية(١) . ويرجع نسبهم الى مزيد بن مرشد بن الدبال(٢) .وعندما خرجوا من جزيرة العرب انتشروا في صحارى القادسية من الساحل الايسر لدجلة ومحلاتهم من بغداد الى البصرة الى نجد (٣) .

كانت الرعاية لبني ناشرة بن نصر وهم بطن من بني اسد وقد تنافس عليها بنو مزيد وبنو خفاجة الاسدي وحدثت معارك بينهما اضطر فيها المزيديون النزوح الى الحلة(٤) .

وتعود نشأة الامارة المزيدية الى مزيد الذي عهد اليه بحماية مدينة سورا(٥) . بعدها ظهر المزيديون على مسرح الاحداث السياسية انذاك كقوة بارزة ومؤثرة في المنطقة مما حدا بالسلطة البويهية ان تعترف باستقلال امارتهم وكان الامير ابو الحسن علي بن مزيد اول من حاز على لقب الامارة في هذه الاسرة(٦) .

وقد تولى حكمها ثمانية امراء اولهم علي بن مزيد

---

(١) القلقشندي , نهاية الارب , ص٣٨٣ .

(٢) الزبيدي , تاج العروس , جـ٧ : ٢٨٣ .

(٣) ابن خلدون , العبر جـ٤ م٤ : ٥٩٠ . الصدفي , تاريخ دول الاسلام جـ٢ : ٥٨ . سليمان , احمد تاريخ الدول الاسلامية جـ١ : ٢٥٣ .

(٤) الحلي , تاريخ الحلة , ص١٣ . الحسني , عبدالرزاق ,تاريخ العراق , ص١١٦ . والنيل : بلدة قبل سواد الكوفة قرب حلة بني مزيد , تقع على نهر يخرج من الفرات حفره الحجاج بن يوسف الثقفي وسماه بنيل مصر . ياقوت الحموي , معجم البلدان جـ٥ : ٣٣٤.

(٥) ابن الجوزي , المنتظم جـ٨ : ٣٥. وسورا : موضع بالعراق من ارض بابل وهي قريبة من الحلة المزيدية . ياقوت الحموي , معجم البلدان , جـ٣ : ٣٧٨ .

(٦) القلقشندي , نهاية الارب ,ص٣٨٣ . الحلي , تاريخ الحلة , ص١٤ . سليمان, تاريخ الدول الاسلامية جـ : ٢٥٣ .

زائدة واخرهم علي بن دبيس (٤٠٥ - ٥٤٥ هـ) (١) عاصرت الامارة المزيدية فترتي التسلط الاجنبي على العراق البويهي والسلجوقي وكان لها دورها البارز في التصدي للمحتلين (٢) .

والامير سيف الدولة صدقة بن منصور بن دبيس بن علي بن مزيد الاسدي هو رابع الامراء المزيديين الذي تولى حكم الامارة بعد وفاة ابيه عام ٤٧٨هـ/١٠٨٥م .(٣) وكانت امارته اثنتين وعشرين سنة (٤).

ونتيجة لتسلط السلاجقة على العراق وسوء احواله السياسية والاقتصادية والاجتماعية ورغبة الامير صدقة في الانفصال عن الدولة السلجوقية وتبعيتها لذا فكر في بناء عاصمة جديدة لامارته مستفيدا من انشغال السلاجقة في نزاعاتهم وحروبهم المستمرة فاتسعت الامارة في عهده وكثرت امواله حتى صار يلقب بملك العرب (٥) . فوجد الفرصة المناسبة لتحقيق هدفه فبنى الحلة (٦) واتفقت اكثر المصادر على ان تاريخ بناءه كانت عام ٤٩٥هـ/١١٠١م (٧) .

اذ انتقل سيف الدولة الى الجامعين (٨) في غرب الفرات وقال ياقوت بانها كانت "اجمة(٩) تأوي اليها السباع فنزل بها بأهله وعسكره وبنى المساكن الجليلة والدور الفاخرة وتأنق اصحابه في مثل ذلك وصارت ملجأ , وقد قصدها التجار فصارت افخر بلاد العراق واحسنها مدة حياة سيف الدولة فلما قتل بقيت فهي اليوم - اي في زمن ياقوت - قصبة تلك الكورة(١٠) .

يتضح من هذا النص ان الامير صدقة قد اختار منوقع الحلة لاهميته من الناحية العسكرية والادارية والاقتصادية ويؤكد هذا ان

---

(١) الحلي , تاريخ الحلة ص١٤ . الحسني , تاريخ العراق , ص١١٦ .

(٢) ناجي , د. عبدالجبار الامارة المزيدية , ص٩٦ ومابعدها . السامرائي وآخرون , تاريخ الدولة العربية الاسلامية , ص١٩١ .

(٣) ابن الجوزي , المنتظم جـ٩ : ٢٥ , ٢٣٦ . ابن خلكان , وفيات الاعيان جـ٢ : ٤٩ . ابو الفدا , المختصر , جـ٢ : ١٩٨ . ابن كثير , البداية والنهاية , هـ ١٢ : ١٣٨ .

(٤) ابن الجوزي , المنتظم جـ٩: ١٥٩ .

(٥) ابن الجوزي , المنتظم جـ٩ : ١٣٢ , ٢٣٦ . البنداري , تاريخ دول آل سلجوق , ص٩٨ .

(٦) الحلة في اللغة , نزول القوم وتأتي ايضا , شجرة ناكة اصغر من العوسج . انظر مادة حلل . ابن منظور , لسان العرب جـ١١ : ١٦٣ , ١٧٣ . ياقوت الحموي , معجم البلدان ,جـ ٢ : ٢٩٤ . والحلة علم لعدة مواضع , اشهرها حلة بني مزيد تعدينة كبيرة بين الكوفة وبغداد وكانت تسمى الجامعين . انظر ياقوت الحموي , معجم البلدان , جـ٢ : ٢٩٤ . ابن خلكان , وفيات الاعيان , جـ٢ : ٤٩١ .

(٧) ابن الجوزي , المنتظم جـ٩: ١٣٢ , ٢٣٦ . ابن الاثير , الكامل جـ١٠ : ٣٥١ . ابن الوردي , تاريخ ابن الوردي جـ٢ : ٢٦ . ابو الفدا , المختصر جـ٢ : ٢٢٣ . الصدلي , تاريخ دول الاسلام جـ٢ :٦٢ .

(٨) الجامعين : وهي حلة بني مزيد التي بارض بابل على الفرات بين بغداد والكوفة وهي الآن - اي في عصر ياقوت - مدينة كبيرة آهلة . انظر ياقوت الحموي , معجم البلدان , جـ٢ :٩٦ . فكانت الحلة حتى القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) تسمى مدينة الجامعين.بنيامين,رحلة بنيامين,الهامش ص١٤١

(٩) الاجمة: الشجر الكثيف الملتف-كما تعني الحصن والجمع أجام . انظر مادة اجم,ابن منظور,لسان العرب جـ٨:١٢ .

(١٠) معجم البلدان. البلدان جـ٢ : ٢٩٤ .

الحلة اصبحت مركزا اداريا مهما للامارة المزيدية التي شهدت توسعا ملحوظا بعد بنائها هذا من جانب وما شهدته الحلة من تطور اقتصادي في تلك الفترة حتى وصفت بانها الفخر بلاد العراق من جانب آخر .

وفي عام ٤٩٨هـ/١١٠٤م حفر خندقا حول مدينة الحلة ووضع سورا لها(١) . وذكر بان الامير صدقة بدأ في بناء الحلة عام ٤٩٣هـ/١٠٩٩م وانتقل اليها عام ٤٩٥هـ/١١٠١م ووضع سورها في ٢١ رمضان عام ٥٠٠هـ/١١٠٦ وبعد وفاته اكمل مرافقها الاخوى ولده الامير دبيس(٢) . وأشار الشاعر صفي الدين الحلي الى سور الحلة عند وصفه لها بقوله(٣) :

ما حلة ابن دبيس ... الا كحصن حصين
للقلب فيها فداء ... وقرة للعيون
ان اصبح الماء سورا ... جارت بمثناء معين
وحولها سور طين ... كأنه طور سين

وسميت الحلة في ذلك الوقت بحلة بني مزيد او الحلة السيفية (٤) . وقد وصفها الرحالة ابن جبير عند زيارته لها بقوله :"هي مدينة كبيرة عتيقة الوضع مستطيلة لم يسق من سورها الا حلق من حذار ترابي مستدير بها على شط الفرات يتصل بها من جانبها الشرقي ويمتد بطولها ولهذه المدينة اسواق حفيلة جامعة للمرافق المدينة والصناعات الضرورية وهي قوية العمارة كثيرة الخلق متصلة حدائق النخيل داخلا وخارجا فديارها بين حدائق النخيل(٥)" .

ونستنتج من هذا القول ان سور الحلة لم يبق على حالة لاسباب منها قدمه وطول فترته الزمنية والظروف الطبيعية وتعرض مدينة الحلة الى هجمات خارجية قام بها السلاجقة مما ادى الى هدم قسم منه . ويظهر من النص توسع مدينة الحلة وتطورها من الناحية السكانية والعمرانية والاقتصادية .

وكان لمصر الحلة اهمية كبيرة في طريق الحج انذاك حيث ذكره ابن جبير قائلا : "والفيا بها عظيما معقودا على مراكب كبار متصلة من الشط الى الشط تحف بها من جانبيها سلاسل من حديد كأذرع المفتولة عظما وضخامة توبط الى خشب مثبتة في كلا الشطين(٦)" .

انتقل سيف الدولة الى عاصمته الجديدة (الحلة) وتوسعت الامارة المزيدية في عهده حتى شملت البصرة وواسط والبطيحة والكوفة وهيت وعنة وتكريت(٧) . وبرز دور الامير صدقة في حمايته للعرب ودفاعه عنهم حيث بذل الاموال في فك اسرى بني عقيل الذي استولى عليهم السلاجقة واخذوا اموالهم وسبوا حريمهم فجهزهم الامير وردهم الى بلادهم ففعل بذل امرا عظيما واسدى مكرمة شريفة وقد مدح الشعراء ابن مزيد الاسدي ومنهم

---

(١) ابن الجوزي , المنتظم جـ٩ : ٢٣٦ .
(٢) اليعقوبي , التاريخ جـ١ : ٨ .
(٣) ديوان صفي الدين الحلي , ص١٨٠ .
(٤) سليمان , تاريخ الدول الاسلامية جـ١ : ٢٥٣ .
(٥) رحلة ابن جبير , ص١٦٨ .
(٦) الرحلة , ص١٦٨ .
(٧) ابن الجوزي , المنتظم جـ٩ : ٢٣٦ . ابن الاثير , الكامل جـ١٠ : ٣٥٧-٣٥٨ , ٣٥٩ , ٣٦٨ , ٤٠٤ , ٤١٩ . ابن كثير , البداية والنهاية جـ١٢ : ١٧٠ . ابو الفدا , المختصر جـ٢ : ٢١٧ , ٢٢١ . ابن الوردي , تاريخه جـ٢ : ٢٤-٢٥ . الزركلي جـ٢ : ٢٩١ .

المنسبي الذي قال (١):

لقد احرزت شكر بني عقيل
بامد يوم كظهم الحذار
عداة رمتهم الاقدار طرا
بشهب من حوافلها ازورار
فما جبنوا ولكن فاض بحر
عظيم لا تقاومه البحار

ومن الجدير بالذكر كان الامير العربي صدقة متمسكا بالتقاليد والتقاليد العربية في حماية المستجير حتى لو كلفه هذا حياته . فلما استجار به – سرخاب بن كيخسرو – رفض ان يسلمه الى السلطان محمد السلجوقي الذي ارسل في طلبه حتى وصل الامر الى الصدام بينهما في معركة انتهت بمقتله(٢) .

وقد اعطانا ابن الاثير وصفا لشخصية الامير صدقة وعهده قائلا "وكان جوادا ، حليما ، صدوقا ، كثير السر والاحسان ، مابرح ملجأ لكل ملهوف ، يلقى من يقصده بالبر والتفضل ، ويبسط قاصديه ، ويزورهم ، وكان عادلا ، والرعايا معه في امن ودعة ، وكان عفيفا لم يتزوج على امرأته ، ولا تسرى عليها ، فما ظنك بغير هذا ؟ ولم يصادر احد من نوابه ، ولا أخذهم بأساءة قديمة ، وكان اصحابه يودعون اموالهم في خزانته ، ويدلون عليه ادلال الولد على الوالد ، ولم يسمع برعية احبت اميرها كحب رعيته له . وكان متواضعا محتملا ، يحفظ الاشعار ويبادر الى النادرة ، رحمه الله ، لقد كان محاسن الدنيا:(٣) .

المبحث الثاني

مقاومة الامير صدقة للتسلط السلجوقي

وجد الامير سيف الدولة السلاجقة قد قسموا العراق الى اقطاعات وزعت بين نوابهم ومعلميهم فضلا عن سوء احواله السياسية والاقتصادية والاجتماعية لذا انتهز الفرص في تشجيع النزاعات الناشبة بين ابناء البيت السلجوقي فاستفاد منها في توسيع امارته على حسابهم واصبح يشكل قوة سياسية مستقلة انذاك معلنا عن تحديه للتسلط الاجنبي(٤) .

فعندما ارسل له وزير السلطان بركيارق عام ٤٩٤هـ/١١٠٠م ، قائلا له " انه قد اجتمع عليك للخزانة السلطانية الف الف دينار ، فاما ادبتها والا فبلدك مقصود (٥)" . فطرد الامير صدقة رسول السلاجقة واسقط الخيمة عليه فلما خرج كتب للامير المزيدي ابيات شعرية تدل على مدى تسلطهم على العرب قائلا(٦):

لاصبحت لي في العراق خيمة
ولاشلت انامل مسني على
قلم
ان لم اقدها من بلاد فارس
شملت النواصي فوقها سود اللمم
حتى ترى لي في الفرات رقعة
يشرب منها الماء ممزوجا بدم

---

(١) ابن الاثير ، الكامل جـ ١٠ : ١٣٥ . عاشور ، دولة بني عقيل في الموصل ، ص١٢٩ .

(٢) ابن الاثير ، الكامل جـ١٠ : ٤٤١ . البنداري ، تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ٩٨ . ابو الفدا ، المختصر جـ٢ : ٢٢٣ . انظر تفصيل ذلك في المبحث الثاني .

(٣) الكامل جـ١٠ : ٤٤٩ .

(٤) الحلي ، تاريخ الحلة ، ص٢٤ . ناجي ، الامارة المزيدية ، ص١٠٣ .

(٥) ابن الجوزي ، المنتظم جـ٩ : ١٢٤ . ابن الاثير ، الكامل جـ١٠ : ٣٠٨ .

(٦) ابن الجوزي ، المنتظم جـ٩ : ١٢٤ .

وعلى اثر ذلك قطع سيف الدولة خطبة السلطان بركيارق في العراق وخطب لاخيه محمد بدلا عنه(١) . وبرز دوره في تحدي السلاجقة عندما ارسل للامير صدقة في مصالحة السلطان السلجوقي بركيارق اجاب "لا احضر ولا اطيع السلطان , الا اذا سلم وزيره ابا المحاسن الي . وان لم يفعل فلا يتصور مني الحضور عنده ابدا , ويكون في ذلك مايكون"(٢) .

وهذا الموقف يدل بكل وضوح على وقوف الامير بوجه التسلط السلجوقي والرغبة في التخلص من استبدادهم وسيطرتهم على البلاد , ثم لجأ الامير سيف الدولة الى توسيع امارته على حساب السلاجقة ففي عام ٤٩٦هـ/١١٠٢م دخل مدينة واسط وعدل في اهلها واخرج منها الامير السلجوقي واعاد الخطبة للسلطان محمد فيها بعده واستناب ابنه فيها(٣) . وبعدها سار الامير صدقة الى هيت وجعل عليها ابن عمه ثابت بن كامل(٤) . ولما استولى بهرام بن ارتق على مدينة عانة استنجد بنو يعيش بالامير المزيدي صدقة فسار بعسكره اليها وابعد الاتراك عنها(٥) .

وفي عام ٤٩٩هـ/١١٠٥م سار الامير صدقة الى البصرة وطرد حاكمها وامن اهلها من كل اذى ورتب عندهم شحنة ورجع الى الحلة(٦) . وبعدها بعام اصبحت تكريت تابعة للامير صدقة بعد ان سلمها اليه حاكمها كيقباز بن هزارسب واستناب الامير فيها ورام بن ابي فراس(٧) .

لقد وجد السلاجقة في شخصية الامير المزيدي صدقة خطرا يهدد مصالحهم في البلاد حيث "صار يدل على السلطان الادلال الذي الذي لايحتمله اذا وقع اليه رد التوقيع او اطال مقام الرسول(٨) " . واتسعت الاشارة المزيدية في تهدئه وبرز دوره في مواجهة السلاجقة فخافه السلطان واتباعه ولهذا يقول ابن الاثير "ان صدقة قد اعظم امره وزاد حاله , وكثر ادلاله , وبسط في الدولة حمايته على كل من يفر اليه من عند السلطان وهذا لاتحتمله الملوك لاولادهم(٩) " . ولهذه الاسباب مجتمعة ساءت العلاقة بين السلطان محمد السلجوقي والامير صدقة فطلب السلطان الاستيلاء على الحلة ونهب اموالها من اجل اضعاف قوة الامير المزيدي فيها . وزاد الامر سوءا حينما استجار ابي دلف سرخاب بن كيخسرو – صاحب ساوه وآبه – بالامير صدقة فلما طلب منه ان يسلمه اليه رفض الامير طلبه فقال "لا افعل

---

(١) ابن الجوزي , المنتظم جـ٩ : ١٢٤ . ابن الاثير , الكامل جـ١٠ :٣٠٨ .

(٢) ابن الاثير , الكامل جـ١٠ : ٣٠٨ .

(٣) ابن الجوزي , المنتظم جـ٩ : ٢٣٦ . ابن الاثير , الكامل جـ١٠ : ٣٥٧ . المعاضيدي , واسط في العصر العباسي , ص٨٧ .

(٤) ابن الاثير , الكامل جـ١٠ : ٣٥٨-٣٥٩ . الحلي , تاريخ الحلة , ص٢٤ .

(٥) ابن الاثير , الكامل جـ١٠ , ٣٦٨ .

(٦) ابن الجوزي , المنتظم جـ٩ : ٢٣٦ . ابن الاثير , الكامل جـ١٠ : ٤٠٤ . ابن الوردي , تاريخه جـ٢ : ٢٤ . ابن الغمالس , ولاة البصرة ومتسلمهوها , ص٤٦ .

(٧) ابن الاثير , الكامل جـ١٠ :٤١٩-٤٢٠ . ابو الفدا , المختصر جـ٢ : ٢٢١ . ابن الوردي , تاريخه جـ٢ : ٢٥ .

(٨) ابن الجوزي , المنتظم جـ٩ : ٢٣٦ .

(٩) الكامل , جـ١٠ : ٤٤٠ .

ولا اسلم من لجأ الي " (١) .

ويرجع ذلك لسببين اولهما ان العرب لم تسلم من استجار بهم وثانيهما ان الامير ان الامير صدقة اراد ان يستغل قضية سرخاب فيعلن عن مقاومته للسلطة السلجوقي(٢) .

وللاسباب السابقة المباشرة وغير المباشرة توجه السلطان محمد الى العراق واستعد الامير صدقة له فجمع الذي بلغ تعداده حوالي خمسين الف مقاتل(٣) . فارسل السلطان السلجوقي جيشا الى واسط واخرج عنها نائب الامير صدقة ثم سار الة فوسانا(٤) -- وهي من اعمال صدقة -- ونهب البلاد فلما علم الامير المزيدي صدقة بعث جيشا بقيادة ابن عمه ثابت بن سلطان الذي تمكن من طرد الاتراك منها(٥) وعلى اثر ذلك تأزمت العلاقة بينهما , والتقى الفريقين في معركة وقعت في النعمانية (٦) حمل فيها الامير صدقة على الاتراك فخرج واتهت بمقتله وقتل من اصحابه مايزيد على ثلاثة آلاف فارس واسر ابنه دبيس وسرخاب الديلمي وقائد جيشه واستولى السلاجقة على الحلة (٧) .

اما علاقة الامير صدقة مع الخليفة فقد كانت حسنه ذلك لرغبة الخلافة العباسية في تلك الفترة في كسب هذه الامارة العربية الى جانبها وهي تقاوم التسلط الاجنبي السلجوقي .

ففي عام ٤٩٥هـ/١١٠١م منح الخليفة المستظهر بالله الامير صدقة دار عفيف , واقطعه الانبار ودعما والفلوجة وخلع عليه خلع لم تخلع على امير قبله ملك العرب (٨) . واعتقد ان اسباب منح الخليفة العباسي الامير المزيدي هذا اللقب ترجع الى مكانته السياسية ورغبة الخليفة في كسبه الى جانبه في صراعه مع المسلطين السلاجقة .

وعليه ساند الامير صدقة الخلافة في القضاء على الفتن الداخلية كما حدث في عام ٤٨٢هـ/١٠٨٨م حيث ارسل اليه الخليفة باخماد الفتنة في بغداد فتمكن من القضاء عليه (٩). وبعثه مرة اخرى لقتال قبيلة خفاجة لعبثها فقاتلهم الامير صدقة وقتل عددا منهم (١٠) . كما استعان العباسي بالامير المزيدي في مواجهة التحدي السلجوقي فلما استعد الخليفة في منع السلطان بركيارق من دخول بغداد للنهب من قبل السلاجقة ونوابهم عام ٤٩٦هـ/١١٠٢م ارسل الخليفة الى الامير المزيدي صدقة فجاء بغداد ومنعهم وتبرك ابنه دبيس فوبا ولما عاد السلاجقة وبالغوا في

---

(١) ابن الجوزي, المنتظم جـ٩ : ٢٣٧. ابن الاثير, الكامل جـ١٠ : ٤٤١ .

(٢) ناجي, الامارة المزيدية, ص١٢٤.

(٣) ابن الاثير, الكامل جـ ١٠ : ٤٤١. الزركلي, الاعلام جـ٣ : ٢٩١.

(٤) فوسانا : كورة كبيرة ونهر عليه مدن وقرى بين النعمانية وواسط. ياقوت الحموي, معجم البلدان جـ٤ : ٤١٣.

(٥) ابن الاثير, الكامل جـ١٠ : ٤٤٣ - ٤٤٤ . الشاهيدي , واسط , ص ٨٩ .

(٦) النعمانية : بلدة بين واسط وبغداد في نصف الطريق على ضفة دجلة وهي بين الحلة وواسط . ياقوت الحموي , معجم البلدان جـ٥ : ٢٩٤ . ابن خلكان , وفيات الاعيان جـ٢ : ٤٩١ .

(٧) ابن الاثير , الكامل جـ١٠ : ٤٥٥ ومابعدها . ابن خلكان , وفيات الاعيان جـ٢ : ٤٩٠.

(٨)ابن الجوزي , المنتظم جـ٩ : ١٣٢, ١٣٦ . سليمان , تاريخ الدول الاسلامية جـ١ : ٢٥٣ .

(٩) ابن الاثير , الكامل جـ١٠ : ١٧٧.

(١٠) ابن الجوزي , المنتظم جـ٩ :٩٧ . ابن الاثير , الكامل جـ١٠ : ٢٦٠ .

(١١) ابن الجوزي , المنتظم جـ٩ : ١٣١.

الفعل القبيح بعث الخليفة اليه مرة اخرى فسار الى بغداد وهرب السلاجقة منها (١) .

وفي نفس العام اضطربت احوال البلاد بسبب قدوم العساكر السلجوقية الى بغداد واعلنوا الخطبة للسلطان بركيارق فجاء الامير صدقة فقطع خطبته وفي هذه الاثناء ارسل الخليفة قاضي القضاة ابا الحسن الدامغاني وتاج الرؤساء ابن الموصلايا فاظهر الامير طاعة الخليفة وارسل ابنه منصور الله يسأله الرضا عنه فاجابه الى ذلك (٢) .

وقد بقيت علاقة الامير سيف الدولة حسنة مع الخليفة العباسي حتى في صراعه مع السلطان محمد السلجوقي اذ كان الخليفة المستظهر بالله يرسل له الرسل والكتب يحذره من مخالفة السلطان فكان جوابه الى الخليفة " انه واقف عندما يرسم له ويقرر حسن حاله مع السلطان , ومهما امرته من ذلك امتثله (٣)" .

المبحث الثالث

ابرز العلماء والادباء في عهده

جعل الامير صدقة الحلة عاصمة لامارته اذ انشاء فيها المدارس العلمية حتى صارت محط رحال العلم ودار هجرة الادباء بعد ان كانت النيل مركزا للامارة في عهد اباته (٤) . لقد شجع الامراء المزيديون العلم والادب واشتهر بعضهم بنظم الشعر ومنهم والد الامير صدقة ابو كامل منصور الذي قال عنه الوزير نظام الملك حينما سمع خبر وفاته قائلا " مات اجل صاحب عمامة " وكان فاضلا قرأ على علي بن برهان فبرع بذكائه من الذي استفاد عنه ومن شعره (٥) .

فأن انا لم احمل عظيما ولم اقد
لهاما , ولم اصبر على فعل معظم
ولم اجر الجاني, وامنع حوزه
غداة انادي للفخار وانتمي

ويشير ابن الاثير الى اهتمامات الامير صدقة العلمية والى خزانة الكتب العظيمة في عهده بقوله " كان له من الكتب المنسوبة الخط شيء كثير , الف مجلدات , وكان يقرأ ولايكتب .. متواضعا , محتملا يحفظ الاشعار , ويبادر الى النادرة (٦) .

وبعد ان بنى الامير صدقة الحلة انتعشت الحركة العلمية والادبية فيها حتى صارت في عهده مركزا للعلماء والادباء والشعراء لما يلقونه من رعاية وتشجيع من قبله (٧) . وقد مدح الشعراء الامير صدقة ومنهم الشاعر محمد بن خليفة السنبسي الذي كان له اختصاصه بالامير (٨).والشاعر ابو المظفر محمد بن احمد الابيوردي الذي يقول في قصيدة له :(٩)

من المزيدين الذين ندامهم
لمستمطريه لابكي ولانزر
اذلوا بسيف الدولة ابن بهائها
رقابا فارض من علابيها القمر
ومن كديس حين نفترش القنا
اذا النقع ليل والضبى انجم زهر
ومازال منصور ونيف على الورى

به الشرف الوضاح والحسب الغمر

(١) ابن الاثير , الكامل جـ١٠ : ٣٥٥ .
(٢) المصدر السابق جـ١٠ : ٣٥٨ .
(٣) المصدر السابق ج١٠: ٤٤١-٤٤٢, ٤٤٥-٤٤٦.
(٣)اليعقوبي , البابليات جـ١ :٧.
(٤) ابن الاثير , الكامل جـ١٠ : ١٥٠ .
(٥) الكامل جـ١٠ : ١٥١ .
(٦) الحلي, تاريخ الحلة , القسم الثاني , ص٤.
(٧) الذهبي المختصر المحتاج اليه , جـ١ : ٤٥ .

وللأمير المرياني صدقة صنف الشريف أبو علي محمد بن محمد بن أحمد بن الهيارية (١) العباسي كتاب المصادع والباغم على صفة كليلة ودمنة الفي بيت وارسله مع ابنه فاعطاه لكل بيت دينار ومنه (٢)

وضمنه مختوما معنساه

لملك ما خطاب من رحساه

بحر الندا رب الاياديادي والمنن

شمس العلى مدار الهدى ابا الحسن

الاسدي المزيدي صدقسة

ومن اذا كذب مدح صدقسة

وقد حظي مجلس الامير صدقة بعدد من الشعراء والادباء منهم شاعره وشاعر ولده ابو عبدالله محمد بن خليفة المنبجي (ت ٥١٥هـ/١١٢١م)(٣) وكان انشد قائلا :

قوالله ما الحسن مقنية ودعوا

ونحن عجالى بين غاد وراجع

وقد سلمت بالطرف منها فلم يكن

من النطق لا رجعا بالاصابع

ورجعا قد روى السلام قلوبنا

ولم يجر منا في خروق المسامع

ولم يعلم الواشون مادار بيننا

من السر صخرة المدامع

فطرب لها الامير صدقة طربا شديدا ولم يرتضها الشاعر مقدار المطاعوي الذي كان جالسا معهم فقال له الامير سيف الدولة ويلك يا مقدير , ما تقول ؟ قال القول انا خير منه , فقال بتلجلج شعرا :

ولما تناجوا للفراق خديسة

رمى كل قلب مطمئن برائع

وقدنا قمد حسنة الزانسة

تقوم بالانفاس نوح الاصابع

مواقف تدمى كل عمراء ثرة

صروف الكرى انسانها غير هاجع

امنا بها الواشين اذ يلمحوا بنا

فلم نتهم الا وشاة المدامع

فاعجب به سيف الدولة وامره بالجلوس عنده(٤)

ومن كبار الشعراء والادباء التي حفلت بهم الحفلة السيفية الكاتب العلمي ابو الفرج محمد بن احمد بن حمزة بن جعفر , جالس القيب ابابي السعادات هبة الله بن الشجري النحوي وابا محمد بن الخشاب واخذ عنهما (٥) , ويذكر العضدي بانه لم يكن مثله في العراق في الترسل والادب والنظم وكان له ملك يعاش منه (ت٥٧٩هـ /١١٨٣م) ومن شعره (٦) .

حتام اجوي في مبادين الهوى

لاسابقا ابدا ولا مسبوق

ماهزني طرب الى رمل النجمى

الا تعرض اجرع وعقيق

شوق باطراف البلاد مفرق

يجري مشيت الشمل منه فريق

والشاعر ابو القاسم علي بن افلح العبسي ولد في الحلة ونشاء وتأدب فيها حتى صار

---

(١) اليعقوبي , البابليات جـ١ : ٨ . الالوسي الابيوردي , ص ٩١ .

(٢) ابن خلكان , وفيات الاعيان جـ٤ : ٤٥٣ .

(٣) ابن الشرقي , تاريخه جـ ٢ : ٢٦ . الحلي , تاريخ الحلة , القسم الثاني , ٧-٨.

(٤) ابن شاكر , فوات الوفيات , جـ٢ : ٤٠٣ .

(٥) ابن شاكر فوات الوفيات جـ٢ : ٤٠٣ . ياقوت الحموي , معجم البلدان جـ٥ : ١٤٨ .

(٦) ابن الدبثي,المختصر المحتاج اليه جـ١ : ١٣-١٤

(٧) ابن خلكان , وفيات الاعيان , جـ٣ : ٣٨٩. اليعقوبي , البابليات جـ١ : ٢٣.

كتبا عن الامير صدقة المزيدي (١) . وخلع عليه الخليفة المسترشد بالله ولقبه جمال الملك وفي عام ٥١٧هـ/١١٢٣م حسن به الخليفة بانه يكاتب الامير دبيس بن صدقة سرا وامر بالقبض عليه وفتش داره فهرب الى تكريت واستجار بمهروز الخادم ثم عفا عنه الخليفة فيما بعد (٢) وتوفي عام ٥٣٢هـ (٣) وقيل ٥٣٥هـ و٥٣٦هـ و٥٣٧هـ وعمره اربع وستون سنة وكان له ديوان مجلد وسط جمعه بنفسه (٤) ومن شعره (٥) :

ان تعجب الزوار من ظاهري
لباطني لو علموا اتعجب
شيبتني من كثفة مزنة
يحمل منها العارض الصيب
ديجت روضة اخلاقه
في رياضها نورها مذهب
صدر كسا صدري من نوره
شمسا على الايام لاتغرب

وابو نجم بدر بن جعفر الشرير الذي ينسب الى الامبرية (٦) وفي عباه سافر الى واسط وتادب هناك ثم جاء الى بغداد وصار من شعراء الديوان (ت٦١١هـ/١٢١٤م).

ومن علماء اللغة والنحو ابو علي الحسن بن ابي المعالي بن مسعود الحلي المعروف بابن البافلاني احد ائمة العربية في ذلك العصر وكان ذا فهم ثاقب وحرص على العلم (٧) .

وعلي بن الحسن بن عنتر بن ثابت المعروف بشميم الحلي كان اديبا فاضلا خبيرا بالنحو واللغة واشعار العرب وهو من اهل الحلة المزيدية تادب ببغداد على ابي محمد بن الخشاب وقرأ على ابي زكريا ملك النحاة ثم سافر الى ديار بكر والشام واستوطن الموصل (٨) . وله عدة تصانيف (٩) توفي عام ٦٠١هـ/١٢٠٤م(١٠) . وقد صنف كتابا في التخميس مدح ابن الخشاب الجليس فيه التخميس في مدح صلاح الدين يقول فيه (١١):

كنت من طوال بالشـ ام نسواد وثوى بـه
جعل العـود الى الزو راء عن بعض ثوابه
انسوى يوطئن النعـ ثوى مسك توابه
وأرى اي سـور عين موطنا لي وثوى بـه

وبرز عدد من علماء اللغة والنحو منهم الحسين بن عداس بن محمد بن ثابت الذيري الاصل . ويعرف ايضا بالنوري والنورية قرية

---

(١) ابن خلكان , وفيات الاعيان جـ٣ : ٣٨٩ . اليمقوبي , البابليات جـ١ : ٢٣.

(٢) ابن الجوزي , المنتظم جـ١٠ : ٨٠ – ٨١ . ابن الاثير , الكامل جـ١٠ : ٦١٧ . سبط ابن الجوزي , مرآة الزمان جـ٨ : ١٦٩ – ١٧٠ .

(٣) ابن الجوزي , المنتظم جـ١٠ : ٨٠ , ويذكر ابن الاثير وفاته عام ٥٣٥هـ انظر , الكامل جـ١١ : ٨٠.

(٤) ابن خلكان , وفيات الاعيان جـ٣ : ٣٨٩ – ٣٩١.

(٥) ابن الجوزي , المنتظم جـ١٠ : ٨١–٨٢ . سبط ابن الجوزي , مرآة الزمان جـ٨ : ١٧٠ وله شعر اخر انظر عنه ابن خلكان , وفيات الاعيان جـ٣ : ٣٨٩ و جـ٦ : ٧٣ .

(٦) الامبرية : منسوبة الى الامير , من قرى النيل من ارض بيل . ياقوت الحموي , معجم البلدان جـ١ : ٢٥٦.

(٧) ياقوت الحموي , معجم الادباء جـ٩ : ١٩٩.

(٨) ابن خلكان , وفيات الاعيان جـ٣ : ٣٣٩ . ياقوت الحموي , معجم الادباء جـ١٣ : ٥٠ . ابن الساعي , الجامع المختصر جـ٩ : ١٥٧–١٥٨ .

(٩) انظر عنها ياقوت الحموي , معجم الادباء جـ١٣ : ٧١–٧٢ .

(١٠) ابن خلكان , وفيات الاعيان جـ٣ : ٣٣٩ – ٣٤٠ . ياقوت الحموي , معجم الادباء جـ١٣ : ٥٠.

(١١) ياقوت الحموي , معجم الادباء جـ١٣ : ٥٦–٥٧ . ابن الساعي , الجامع المختصر جـ٩ : ١٥٩ .

من قرى النحلة السفلية (١) .

وسعد بن احمد بن مكي النيلي (ت ٥٦٥هـ/١١٦٩م) (٢) . وابو الفتوح علي بن منصور الحلي المعروف بابن الخازن توفي في النحلة عام (٦٠٠هـ/١٢٠٣م)(٣) وبرع بعضهم في الطب منهم ابو سهل سعيد بن عبد العزيز النيلي وكان اديبا شاعرا نحويا وله تصانيف عديدة منها . اختصار كتاب المسائل لحنين وتلخيص شرح فصول بقراط لجالينوس مع نكت من شرح ابي بكر الرازي وغير ذلك(٤) .

(١) نسبة الى الدير , وهي قرية من قرى الصعانية , انظر عنه ياقوت الحموي , معجم الادباء جـ١٠ : ١٨٠-١٨١ .

(٢) ياقوت الحموي , معجم الادباء , جـ١١ : ١٩٠-

(٣) ابن الساعي , الجامع المختصر جـ٩ : ١٢٨ .

(٥) ياقوت الحموي , معجم الادباء جـ١١ : ٢١٨ .

مزيد الاسدي

١- سند الدولة علي الاول

٢- نور الدولة دبيس الاول

٣- بهاء الدولة ابو كامل منصور

٤- سيف الدولة ابو الحسن صدقة الاول

تاج الملوك ابو النجم بدران ت٥٠٢هـ	٥- نور الدولة دبيس الثاني ت٥٢٩هـ	معقل	ابو كامل منصور	عز الدولة ابو المحاسن محمد ت ٤٩٣هـ

٦- صدقة الثاني ت ٥٣٢ هـ ٧- محمد خلع ٨- علي الثاني ت ٥٤٥ هـ

انظر , زمباور , معجم الانساب والأسرات الحاكمة , ص٢٠٨ .

سليمان احمد السعيد , تاريخ الدولة الاسلامية , ص٢٥٥ .

الخلاصة

لقد قسم السلاجقة العراق الى عدة اقطاعات وزعت لهم بينهم وتدهورت احواله العامة في ظل الاحتلال السلجوقي كان ذلك سببا في اعلان الامير المزيدي مقاومته للسيطرة السلجوقية حيث سعى في الانفصال عن بغداد فاخذ يوسع امارته على حساب ممتلكاتهم في العراق حتى شملت واسط والكوفة والبصرة وعين عاته وتكريت . واستطاع صد السلاجقة في عدة معارك كان اخرها عام ٥٠٩هـ والتي انتهت بمقتله .

اما علاقته مع الخلافة العباسية فقد اتسمت بطابع الود والتعاون . ولما كانت الخلافة تتطلع في تلك الفترة في التخلص من السيطرة الاجنبية وقف الامير المزيدي الى جانبها لكان يسارع في تنفيذ طلب الخليفة لاخماد الفتن الداخلية لتحقيق الامن والاستقرار . كما نجده يساند الخلافة عسكريا في الوقوف بوجه اطماع السلاجقة المتكررة في العراق والقضاء عليها .

ومن انجازات الامير صدقة العظيمة بناته مدينة الحلة التي اصبحت في عهده في عاصمة الامارة المزيدية ومركزها السياسي والاداري . كما شهدت الحلة تطورا عمرانيا واضحا طيلة عهده والامراء الذين جاءوا من بعده .

وكان لرعاية الامير صدقة العلمية وتشجيعه للعلم والعلماء اعمق الاثر في انتعاش الحياة الفكرية والادبية في مدينة الحلة حيث كانت محط رجال العلم ودار هجرة الادباء . كما حفلت الحلة بنخبة من العلماء والادباء والشعراء في ذلك العصر والذي كان لهم دورا بارزا في ازدهار الحركة الفكرية فيها .

المصادر

- ابن الاثير – عز الدين ابو الحسن علي بن ابي الكرم (ت٦٣٠هـ / ١٢٣٣م) "الكامل في التاريخ" دار صادر . بيروت / ١٩٦٦ .
- البنداري – الفتح بن علي (ت٦٤٣هـ/ ١٢٤٥م) "تاريخ دولة آل سلجوق" ط٢ . دار الافاق . بيروت /١٩٧٨ .
- بنيامين – ابن يونه التطيلي السياري الاندلسي (ت٥٦٩هـ/ ١١٧٣م) "رحلة بنيامين" ترجمة وتعليق عزرا حداد . الطبعة العبرية . بغداد /١٩٤٥ .
- الذهبي – ابو عبدالله محمد بن احمد (ت٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م) "المختصر المحتاج اليه" تحقيق د. مصطفى جواد مطبعة المعارف . بغداد/ ١٩٥١ .
- ابن الجوزي – ابوالفرج عبدالرحمن بن علي (ت٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م) "المنتظم في تاريخ الملوك والامم" حيدر اباد الدكن– الهند ١٣٥٨هـ .
- ابن جبير – ابوالحسن محمد بن احمد الكناني الاندلسي (ت٦١٤هـ/ ١٢١٧م) "رحلة ابن جبير" المكتبة العربية . بغداد /١٩٣٧ .
- ابن خلدون – عبدالرحمن محمد (ت٨٠٨هـ/ ١٤٠٦م) "العبر وديوان المبتدأ والخبر" دار الكتاب اللبناني . بيروت /١٩٥٦ .
- ابن خلكان – شمس الدين ابوالعباس احمد بن محمد (ت٦٨١هـ/١٢٨٢م) "وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان" تحقيق د. احسان عباس . دار الفكر . بيروت .

- الزبيدي - محمد مرتضى الواسطي (ت١٢٠٥هـ/ ١٧٩١م) "تاج العروس من جواهر القاموس" منشورات مكتبة الحياة , بيروت .
- الزركلي - خير الدين "الاعلام" ط٣.
- سبط ابن الجوزي - شمسالدين ابو المظفر يوسف بن قزاوغلي (ت٦٥٤هـ/١٢٥٦م) "مرآة الزمان في تاريخ الاعيان" حيدر قاباد الدكن , الهند/ ١٩٥١ .
- ابن الساعي - علي بن انجب (ت٦٧٤هـ/ ١٢٧٦م) "الجامع المختصر في عنوان التواريخ والسير" عني بنسخه وتعليقة د. مصطفى جواد ,المطبعة السريانية , بغداد/ ١٩٣٤ .
- ابن شاكر الكتبي- محمد بن شاكر (ت٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م) "فوات الوفيات" تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد , مطبعة السعادة, مصر /١٩٥١ .
- ابو الفدا - الملك المؤيد عمادالدين اسماعيل بن علي (ت٧٣٢هـ/ ١٣٣١م) "المختصر في اخبار البشر" دار المعرفة للطباعة والنشر , بيروت.
- القلقشندي - ابو العباس احمد بن علي (ت٨٢١هـ / ١٤١٨م) " نهاية الارب في معرفة انساب العرب " تحقيق علي الخاقاني , مطبعة النجاح , بغداد /١٩٥٨ .
- ابن كثير - عماد الدين ابو الفضل اسماعيل القرشي (ت٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م) " البداية والنهاية في التاريخ " مكتبة المعارف , ط٢ بيروت /١٩٧٧ .
- ابن منظور - ابو الفضل -جمال الدين محمد بن مكرم (ت٧١١هـ /١٣١١م) "لسان العرب" دار صادر ,بيروت .
- ابن السوردي - زين الدين عمر بن مظفر (ت٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م) "تاريخ ابن السوردي" المطبعة الحيدرية , النجف /١٩٦٩ .
- ياقوت الحموي - شهاب الدين ياقوت بن عبدالله (ت٦٢٦هـ/١٢٦٦م) "معجم البلدان" دار صادر , بيروت ."معجم الادباء" دار احياء التراث العربي , دار المستشرق , بيروت .

المراجع الحديثة

الالوسي - نوري شاكر
"الابيوردي" دار الحرية , بغداد /١٩٨٠ .
الحلي - يوسف كركوش
" تاريخ الحلة " القسم الاول والثاني , المطبعة الحيدرية , النجف /١٩٦٥ .
الحسني - عبدالرزاق
" تاريخ العراق قديما وحديث " مطبعة العرفان , صيدا /١٩٤٨ .
زمباور - المستشرق
"معجم الانساب والاسرات الحاكمة في التاريخ الاسلامي" اخرجه زكي محمدحسن وحسن احمد محمود مطبعة جامعة فؤاد/١٩٥١ .
سليمان - الدكتور احمد السعيد
"اربخ الدول الاسلامية ومعجم الاسر الحاكمة" مصر/ ١٩٧٢ .
السامرائي - الدكتور خليل ابراهيم واخرون
"الدولة العربية الاسلامية في العصر العباسي" ١٩٨٨ .
الصدفي - رزق الله منقوريوس
"تاريخ دول الاسلام " مطبعة الهلال , مصر / ١٩٠٧ .

ابن الفقاس – " ولاة البصرة ومسلموها"
مطبعة دار البصري / ١٩٦٢ .

المعاضيدي – الدكتور عبدالقادر
" واسط في العصر العباسي " دار الحرية
للطباعة , منشورات وزارة الثقافة
والاعلام بغداد /١٩٨٣ .

ناجي – الدكتور عبدالجبار
"الامارة المزيدية" دار الطباعة الحديثة ,
البصرة/ ١٩٧٠ .

اليعقوبي – محمد علي
"البابليات" مطبعة الزهراء ,
النجف/١٩٥١ .